

الدروس التربوية من الأمثال القرآنية

أ. أناهيد بنت عيد السميري

رمضان ١٤٤٥ هـ من الهجرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة **(عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)** تفاريغ من دروس

الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها

<https://anaheedblogger.blogspot.com>

:تنبيهات هامة

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح -

- هذه التفاريغ من عمل الطالبات ولم تطلع عليها الأستاذة -
حفظها الله.

- الكمال لله - عزّ وجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله -
وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر
الله.

- والله الموفق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الثلاثون الثلاثاء 30 رمضان 1445هـ

"النحل (٩٢)"

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً، أن أمدنا بليلة نقوم فيها ونصلي وندعو، ونهار نصوم فيه ونتقرب إليه. اللهم تقبل منا ومن المسلمين، واجعل هذا الشهر المبارك، مباركاً على حياتنا، سبباً لرضاك عنا وزيادة إيماننا ويقيننا، واجعله في موازيننا ثقيلاً، يا رب العالمين، أثقل من الجبال الرواسي. نلتقي في هذا اليوم المبارك، الذي زادنا ربنا به فرصة للاجتماع حول موضوع الأمثال، ونعود أدرجنا إلى مثل في سورة النحل لم نناقشه في وقت دراستنا لسورة النحل على أمل أن نجتمع في مثل هذا اللقاء ونتكلم في هذا المثل لمناسبته لختام الشهر، وختام الأعمال. فنعود سوياً إلى سورة النحل ونتذكر أولاً المثليين الذين مر معنا مناقشتهم، ثم منهما نخرج إلى هذا المثل الجديد. نقرأ الآية (75) والآية (76):

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ

يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (75)
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ
وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ
يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۖ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

قد مر معنا مناقشة هذين المثلين، وكيف أن الإشارة والدلالة فيهما تدل الإنسان بطريقة عقلية واضحة على الاختيار. يختار لنفسه الوضع والصورة التي يريد أن يكون عليها. فالإنسان -كما في المثل الثاني في الآية (76)- يرى أمامه صورة لرجل (أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ). حين يرى الإنسان هذا الإنسان، حتى لو كان ليس مسؤولاً عنه وليس له علاقة به، يشعر أن هذا الإنسان كالعلة التي تعل القلب وتمرضه. ثم ينظر إلى الصورة الثانية فيجد من (يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۖ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). فأكيد أن الثاني سيدخل في نفسه مشاعر الرضا، والطمأنينة، لمثل هذا الإنسان الذي (يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۖ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). أنت ترى قبح الصورة الأولى وترى حسن الصورة الثانية. ألسنت تحب من (يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۖ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)؟ ألسنت تستحسن هذه الصورة؟ بلى، نستحسن

صورة من (يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).
الآن نقرأ الآية (90) في السورة:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ
وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ)

ألست تستحسن من (يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ)؟ لأن فطرتك السوية تحب هذا الشيء؟ الله - عزَّ
وجلَّ - يقول لنا: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) هو من (يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، والدليل أنه (يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ)، وهذا كله مما تقبله النفوس وتستحسن
الأمر به. من ذاك الإنسان الذي يكره أن يعطى العدل؟
وأن يعطى حقه؟ وأن يحفظ من الظلم وألا يتعدى عليه
أحد؟ وأن يصل إليه حقه؟ بل يصل الحق لكل ذي حق،
من يكره هذا الشيء؟ كل الخلق ينادون بالعدل، بل هذا
الدين لا يأمر فقط بالعدل، إنما أعلى منه وهو الإحسان،
يقابل الخير بأكثر منه، ويقابل الشر بأن يعفو عنه،
ويأمر بإيتاء ذي القربى؛ إعطاء القرابة ما يحتاجون،
وينهى عن الفحشاء، وكل الناس تستحسن البعد عن
الفحشاء إلا من مرضت قلوبهم، وغفلوا عن فطرتهم.

الناس يحبون من (يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى)، يستحسنون هذا، فرب العالمين يقول: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى). فهذا واضح، هناك في الآية (76) هل يستوي هو ومن (يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ^١ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، يقابله (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ). قد مر معنا أن هناك المناقشة في المثلين الماضيين أنك تختار لنفسك من أي هذه المناهج تنهل، ولأي اتجاه تتجه، كيف تترك من (يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ^١ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) وتذهب للأبكم الذي لا يقدر على شيء وهو كلُّ على مولاه، (أَيْنَمَا يُوجَّهْ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ)؟ وهذا النموذج مفهوم، يخرفون من عقلهم أفكاراً ويدبرون شؤوناً ويقولون: "هذا الذي سيصلح المجتمع" وتكون النتيجة (أَيْنَمَا يُوجَّهْ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ) هل يستوي هو ومن (يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ^١ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)؟ ولنفكر في هذا الشهر المبارك، الذي منَّ الله به على هذه الأمة المباركة. كيف هيأ الله -عزَّ وجلَّ- للخلق أحوالاً يستخرجون من نفوسهم أحسن الأشياء. وإذا مالت نفوسهم لشيء سيء لأموها وطهروها وهذبوها، خوفوها، رغبوها. فمدوا أيديهم لأنفسهم من أجل أن ينتشلوها. جعل الله هذا الشهر لهذه الغاية، طهر نفسك،

اجعلها تسمو، اجعل أهدافها للسماء؛ لذلك انظر للمساجد التي تجمع المؤمنين للصلاة، لا شيء هنا للدنيا، يجتمعون هنا لا شيء في الدنيا إنما للآخرة، لشيء أسمى من الدنيا؛ لذلك كلما ازداد الإنسان إيماناً كان كمثل النور (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) ووصفهم (لَّا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ).

تجد هؤلاء إذا قوي إيمانهم حقيقة يتلفتون يبحثون عن الأجر، فيمدون يد العون لهذا، ولهذا، ويتصدقون ويطعمون، ويفطرون صائماً ويتلون آية ويقومون يصلون لرب العالمين ما استطاعوا. إذا صح إيمانهم لا شيء يتنافسون عليه أو يختلفون عليه؛ لأن الجنة عرضها كعرض السماوات والأرض. لكل مقبل على رب العالمين مكان في جنات النعيم، فالأمر ما فيه ازدحام. هذا المعنى واضح جداً. هذا الذي يأمركم به رب العالمين وتجدون أنفسكم مرتاحين لأنكم لا تتنافسون على دنياكم. لا تتنافسون على المكان الضيق، على المقدرات التي ترون أنها ضيقة، إنما أنتم تتنافسون في جنة عرضها السماوات والأرض لكل منكم مكان إذا أقبلتم على رب العالمين. وقد مر معنا

أيضًا في الأمثال بيان أن الله -عزَّ وجلَّ- يأمرنا في كل شأننا أن نتوكل ونقبل عليه، ولا نجعل أنفسنا متعلقين بشركاء متشاكسون، بل نكون سالمين لرب العالمين، وهذا أساس العدل؛ ألا تظلم نفسك بأن تجعل لكل غاية ربًّا! مرضت؛ تجعل لك ربًّا وإلهًا يشفيك، وفقيرًا؛ تجعل لك ربًّا وإلهًا يعطيك، عندك مشاكل؛ تجعل لك ربًّا وإلهًا يحل لك مشاكلك. لا يكن عندك شركاء متشاكسون، بل مباشرة ما عندك إلا حل واحد وهو **التوحيد**، حل وحيد؛ الله هو الحل الوحيد، وهذا أعظم العدل الذي يأمر به رب العالمين. وكل الأيدي الممدودة بالدعاء التي نراها في أحسن صورة في هذا الشهر المبارك، كل هذه الأيدي تقول: "ما عندي حل إلا عندك، كلّ يدلي بدلوه، وكلّ يساويني في الضعف والعجز، وإن سار قبلي خطوة في التمكن، لكن الأمر بيدك"

رفع اليدين في الدعاء، تكون كمستمطر الخير، المنتظر العطية، وهذا من أعظم العدل؛ أنك تطلب ممن يملك، ماذا يجب علينا أن نفعل. فالله **(يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ)** **وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**. عشنا هذا الحمد لله، ماذا يجب علينا أن نفعل؟ نسمع الآية (91):

(وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)

أنت سرت في الطريق المستقيم، وعرفت رب العالمين وعرفت بماذا يأمر، وعرفت موضعك في العلاقة برب العالمين، رفعت يديك واتجهت في الاتجاه الصحيح؛ أنك لا تطلب إلا ممن يملك، إلى آخر هذه الأمور. ماذا يجب عليك أن تفعل الآن؟ اعتبر هذا عهد بينك وبين الله. إذا كان هذا عهدًا بينك وبين الله أمرك الله بالوفاء، يجب عليك أن توفي هذا العهد وأمرك الله ألا تنقض العهد الذي بينك وبين رب العالمين، وهذا الشأن في كل طاعة وعبادة. بمعنى أنك عاهدت الله، بل لا زلت تعاهد الله كل مرة أنت تقول فيها: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ). عاهدت الله، ولا زلت تعاهده، كلما قلت «وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ»⁽¹⁾. هذا عهد بينك وبين الله، فالمطلوب منك أن تفي بهذا العهد. إذا عاهدت، وهذا العهد هو شهادة "أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله"، هذا العهد تقوله في سورة الفاتحة، هذا العهد تقوله في سيد الاستغفار، المطلوب منك

⁽¹⁾ أخرجه البخاري (6306).

الوفاء. ثم أنت منهي عن نقض هذا العهد الذي بينك وبين الله. ونقض العهد له معنى عظيم وخطير، كلما فكرنا في مسألة نقض العهد وجدنا أنه يشمل كل مسالكنا مع رب العالمين، حين نقبل عليه -سبحانه وتعالى- نكون أوفياء بعهد الله، حين ندبر نكون ممن نقض العهد. لذلك نقرأ الآية مرة أخرى لنرى كيف يحذرنا رب العالمين من هذا الخطأ الخطير علينا:

(وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) تبين لنا عهد الله، أمر الله المؤمنين بملاك المصالح، ونهاهم عن ملاك المفسد، أمر بالعدل، الإحسان، إيتاء ذي القربى، نهى عن الفحشاء والمنكر، ربنا (يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، ما هو دورنا؟ أن نفي بعهد رب العالمين، ونتذكر مثل سورة الفتح في أصحاب المصطفى -صلى الله عليه وسلم- كيف كانوا من الأوفياء بما عاهدوا عليه الله. وكيف أتى الخبر عنهم في سورة الأحزاب، (مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ) ما بهم؟ (صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ). المقصد أننا في كل مرة نطيع رب العالمين، يكون بيننا وبين الله -عز وجل- عهد، وحين نطيع نكون من الأوفياء، هذه هي الجملة الأولى.

الجملة الثانية (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) هذا نهى يقابل الأمر السابق، الأمر السابق، أمرنا رب العالمين أن نحافظ على الشريعة، وأضاف العهد إلى نفسه (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ) والإنسان في الطاعة في حال معاهدة مع الله، وحين يترك الطاعة يكون قد نقض العهد مع الله؛ ولذلك في سورة البقرة قال: (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ)، فنقض العهد بعد توكيده، جرم كبير. ما المقصود بالتوكيد؟ التوثيق، وسيظهر في المثال التوكيد وتكرار الفتل. فالإنسان يكون صادقاً يقول: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فهو يعاهد الله ألا يعبد إلا إياه ولا يستعين إلا به، ثم يترك هذه الأعمال، فيعتبر هذا نقض لما عاهد الله عليه، إذا نقض الأيمان في هذا السياق من معانيه المهمة: ترك العمل.

رب العالمين يأمرنا بالوفاء بالعهد والميثاق والمحافظة على هذا الميثاق وعدم نقضه.

تأتي الجملة الأخيرة في الآية: (وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) هذا يجعلنا في حرج شديد من أن ننقض العهد؛ لأنكم كمن حلف وجعل الله كفيلاً له، فرب العالمين يقول لنا: "لا تنقضوا الايمان" يعني العهد الذي بينكم وبين رب العالمين؛ لأنكم في حال صورتكم أنكم جعلتم الله

كفيلًا على أنفسكم لأنكم تقسمون به، وتكونون في حال
تعدون الله أن تفعلوا وكأنكم تجعلون الله يكفلكم، فهو
الكفيل، يعني الشاهد والضامن والرقيب على الشيء،
الذي يراعي الشيء لتحقيق غرضه. فحين تقسم بالله في
أي شأن أنت تشهد في نفسك أن الله هو العظيم، فالقسم
باسم الله إلهاد لله وكفالة به، والناس يفعلون هذا في
العهود والعقود، يجعلون الله شاهداً عليهم. حتى في
طاعاتكم؛ أنتم أقمتم الله على أنفسكم مقام الكفيل، فهو
الكفيل والمكفول له، مثلما نقول في كلامنا العامي
"الخصم" و"الحكم"، وهذا سيردنا لنفس القضية؛
(وَضَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ)، نفس القضية؛ ما لك
إلا الله. فأنت تعبد الله وتستعين بالله على عبادته، أنت
تفي بالعهد وتبذل جهدك أن لا تنتقض هذا العهد في
طاعته وأنت تعتقد أن الله هو الكفيل، فهو الكفيل
والمكفول له، فهو المعين وأنت تستعين به على
طاعته، أنت تتمسك بالميثاق والعهد لأنك تشعر أن الله
هو كفيلك، فلا تريد أن تنتقض العهد لأن الله كفيلك وهو
المكفول لك أيضاً، سبحانه وتعالى.

المقصد أن نحفظ عهد الإيمان، نحفظ عهد الاستقامة
ولا نرتد عن الاستقامة بالمشاغل؛ لذا جاء هذا المثل

الذي يبين حال من جعل الله عليه كفيلاً ثم ارتد عن هذا الأمر ورجع عنه.

(وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)

هذا هو المثل المضروب لمسألة العهد. نقرأ الجملة الأولى في الآية (92):

(وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) في الآية السابقة (وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) وهنا ولا تكونوا في نقضكم الأيمان بعد توكيدها فاعلين مثل فعل هذه، وهذا تشبيه. أولاً نتصور هذه الصورة الحسية التي وجدت عند العرب حقيقة ثم أصبحت مثل معروف عند العرب. هذه امرأة سميت في التفاسير، لكنها ليس شاغل لنا، هذه المرأة تملك وعندها جوارٍ وتشتغل بالغزل، تغزل، اتخذت مغزلاً كبيراً وكانت تغزل هي وجواريتها، كأننا نقول: "عمل منظم"، تغزل هي وجواريتها من الغداة إلى الظهر، يعني من أربع إلى خمس ساعات بتقديرنا اليوم، ثم تأمرهن فتنقض ما

غزلته، وتفعل هذا الفعل كل يوم. عملية الغزل تأخذ من قوة اليد ما تأخذ لأنها تقتل الصوف، أو الشعر لتجعله خيوطاً محكمة، ثم تدير آلة الغزل بحيث تلف هذه النتف المفتولة باليد فتصير خيوطاً غليظة طويلة بقدر حاجتهم من أجل أن تكون لحمة للنسيج. نرى هل هي نقضته من باب أنه ضعيف وتريد تحسينه؟ لا، الله -عز وجل- يقول: (مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) والقوة هنا تعني أنه حصل إحكام للغزل، يعني نقضته رغم أنه محكم القتل، لا شيء يوجب نقضه، لو كان قتله غير محكم، لكان عذراً لنقضه لكن حصلت القوة للقتل. هذا الفعل؛ فكت هذا النسيج من بعد حصول القوة (أَنْكَاثًا) هذه الكلمة -سبحان الله- ستصف الحالة التي يراد تشبيهها، هذا صار غزلاً واحداً، هي نقضته، يعني أعادته خيوط، صيرته للحال التي كان عليها قبل الغزل. هي كانت أصلاً خيوطاً ذات عدد وفتلوها بيدهم ثم وضعوها في الآلة، فهذا القتل يجتمع فيصبح نسيجاً، سبحان الله. هي ماذا فعلت؟ هي نقضته فإذا هو أنكاث، عاد للحالة الأولى، منكوث يعني منقوض.

نريد أن نتصور ما الذي يمكن أن يكون سبباً لهذا الأمر؟ من الذي يفعل هذا الفعل؟ هم يذكرون دائماً أنها

امرأة خرقاء، مختلة العقل؛ لأن مثل هذا النسيج الذي بذلت الجهد والوقت فيه، واستعملت فيه كل القوى التي تملكها لو أنه بقي لنفعها، هي تنتفع به أو تزيد ملكها به فتبيع، أو تفعل، لكن هي تصل إلى حد الإتيان ثم تعود على ما أتقنت بإفساده، وهذا، والعياذ بالله، المراد تقريب فكرته، نستعيز بالله من هذه الحال، وهي أن يعبد الإنسان رب العالمين، ويلجأ إليه ويذوق طعم قربه ومناجاته توحيده والإخلاص له، يذوق هذا كله ويجد قوة من الله على نشل هذه النفس من رغباتها، ثم بعد كل هذا البرنامج العملي، نعبّر عنه تجاوزاً، والتدريب لمدة شهر، يسقط الإنسان من علو، ينقض الإنسان ما غزله؟ هذا ما يكون إلا خرق، ما يكون إلا سفه؛ لأن مثل هذا في الصورة الحسية لا يأتي إلا من مختل عقلياً. المختل العقلي، أو كما يقولون عنه "الأخرق"، هو الذي يحصل منه مثل هذا. هذا نفسه حين نخرج من موسم الطاعة، وهنا يجب أن نلاحظ أننا نحتاج إلى أمرين؛ نحتاج أن نفكر أن ربنا بين لنا قدرتنا، وبين لنا أن عونهُ -سبحانه وتعالى- لنا بتخصيص زمان وحبس الشياطين كان هذا لنعرف قدراتنا على أنفسنا، ونعرف أن مكان رمضان في كل العام هو قوة الإقبال على الله، والاستعانة بالله،

والطلب من الله، وجعل الله هو الكفيل (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)، فنبذل جهودنا أن نفي بعهد الله بعون من الله.

إذا الأمر الأول أننا اكتشفنا أنفسنا، واكتشفنا أن رب العالمين هو معيننا، وعرفنا أنه -عز وجل- لا زال معيناً لنا، لن يتركنا. لكن في القادم الاستعانة تحتاج أن تكون أكثر وأقوى؛ لأن شهر رمضان تصفد الشياطين، يحصل فيه أحوال الكون، بقية العام مسؤوليتك أن تهيء لنفسك لمثل هذا بطلب العون من الله (قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) نطلب من الله العون.

الأمر الثاني أن هذه العبادات والطاعات التي نرجو من الله أن تكون في موازين الحسنات، ونطلب لها في هذا النهار الأخير من هذا الشهر المبارك القبول، هذه الحسنات كالزاد الذي يرغبنا في ما هو قادم من حسنات. بمعنى ما يطلب منك أن تكون على نفس المستوى، إذا لم تجد نفسك في نفس المستوى تنهار، وتترك كل شيء! أنت كأنك جمعت لنفسك قوة، الفترة القادمة بعد هذا نبذل جهودنا أن نزداد من الأعمال التي تؤكد وتقوي هذا الغزل، ولا نفعل أفعالاً تنقض هذا الغزل. نحن بين أمرين؛ أن نفعل أفعالاً تنقض الغزل، وبين أن نفعل أفعالاً تزيد قوة للغزل. الغزل الأساسي

صار في شهر رمضان، فيما بقي بعد ذلك نزيده قوة ونحافظ عليه، فالحمد لله كنت من أهل القيام، تمسك بالقيام ولو أدناه بأن توتر كل ليلة ثلاث ركعات. كنت من أهل الصيام -الحمد لله- صم الست، صم الأيام البيض، وهكذا، كلّ على ما يتيسر.

كنت قارئاً للقرآن لا تهجره، على الأقل اختمه مرة في الشهر، أقصاها مرة في الأربعين يوم. كنت من أهل الصدقة، الحمد لله في هذا الشهر، أنفق ولو القليل، أكد على غزلك، لا تنقض غزلك بعد قوة بأن تدخل في المعاصي، فالمعاصي كأنها يد تدخل إلى هذا الغزل الذي غزلته فتفككه حتى تعيده خيوطاً. تصور نفسك كيف نسجت لنفسك من خيوط الحرير ثوباً يكسوك ويخفي عيوب النفس وعوراتها، فأصبحت بنعمة من الله تلبس ثوباً من حرير، تلبس ثوباً كساك جمالاً. تصور أنك تجلس وأنت تلبس هذا الثوب الذي نسجته بنفسك شهراً كاملاً، ليلاً ونهاراً، تجلس وتمد يدك إلى طرف الثوب فتجد طرفاً خارجاً من الثوب وتبدأ بسحبه، وتلاحظ أنك مع سحبه بدأ الثوب يتفكك، وتجد نفسك غير مبالٍ، وينسحب الثوب وتبدأ تتفكك خيوط الحرير وتبدأ تنكشف العورات ويظهر البخل، وتظهر الأحوال

التي يجب أن تستر من النفس، يظهر البخل، تظهر قلة الديانة، تظهر الفحشاء، يظهر المنكر، والإنسان لا يبالي. هذا ما هو إلا خرق! وانظر لو أن عندك ثوبًا، حتى لو كان ليس من حرير، المهم أنه مما تستحسنه النفس، وخرج خيط من هذا الثوب ولاحظت أنك لما سحبته سيبدأ ينفرط عقده وينتقض غزله، تسارع بقص الخيط أو بأي عملية تساعدك على الحفاظ على هذا الثوب.

الله كسانا من هذا الشهر لباس التقوى، (وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ) فلا تجعل الأيام القادمة سببًا لنقض هذا الغزل، قد بذلت جهدك شهرًا كاملاً لغزله، لا ينقض هذا الغزل بعد هذا الجهد إلا امرأة خرقاء، مثلما اشتهر عند هؤلاء. فالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله. في هذا كله ما لنا إلا الله، وما لنا إلا الاستعانة به -سبحانه وتعالى- وما لنا إلا الاستغفار والتوبة الدائمة، والاستمرار على صنف الأعمال التي فعلناها، كل عمل فعلناه صنفه لا تتركه من صيام ومن قيام ومن تلاوة قرآن ومن إحسان للناس، ومما يعيننا على ذلك سنن وآداب عيد الفطر.

فمن سنن عيد الفطر التكبير من غروب شمس آخر يوم من شهر رمضان إلى خروج الإمام لصلاة العيد. وهذا مذكور في كتاب الله.

ومن ذلك أيضا شكره - سبحانه وتعالى - على نعمة الصيام، وشكره على نعمة بلوغ التمام، ومن ذلك كثرة الاستغفار، وهذا من الأعمال المعروفة، معروف مع نهاية الأعمال الاستغفار وكثرته. فالتكبير والاستغفار وطلب القبول من رب العالمين والشكر لله - عز وجل - كلها من السنن التي تزيد ثبات هذه النعمة، التي تزيد ثبات هذا الثوب الذي كساك الله إياه. ومن ذلك أيضا المشي إلى صلاة العيد، المشي خاصة من النساء وهن في غاية من الستر بغير زينة ولا طيب، لتشهد المرأة مع المسلمين الخير فلتكن هي سببا للخير؛ فلا تفتن نفسها ولا تفتن غيرها.

نسأل الله بمنه وكرمه أن يتقبل منا، نسأل الله بمنه وكرمه مهما كان حالنا أن يعفو عنا، ولا زال باب التوبة مفتوحا، ومهما كان هناك تقصير لا زالت هناك فرص عظيمة مع رب العالمين، فهو الغفور الشكور، نسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا من أهل القبول الذين عفا عنهم - عز وجل - ورفعهم في عليين، اللهم آمين.

عيدكم مبارك، نسأل الله أن يجعله عيدًا مباركًا على أمة
الإسلام، اللهم آمين.